مجلة إشكالات في اللغة والأدب مجلد: 09 عدد: 2 السنة: 2020
ص: 223 - 240 E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

المنفى والإحساس بالحنين إلى الوطن في الشعر الشعبي الجزائري
Aesthetics of the sense of homesickness in Algerian popular poetry

د. بولرباح عثماني *
Dr.boularbah Atmani
جامعة عمار ثليجي -الأغواط(الجزائر)
University of Laghouat- Algeria
bouotmani@gmail.com

تاريخ الإرسال:2019/12/05	تاريخ القبول:2020/03/06	تاريخ النشر: 2020/06/02

ملخص البحث

يشكّل الانتماء إلى الوطن مقوّما بارزا في حياة الأفراد، ومن ثم فالوطن هو المهد واللّحد، وقد يحدث أن تنقلب وحدة الانتماء والعيش، إلى إبعاد واغتراب قسري أو اختياري، وهذا ما حدث للشعراء الشّعبيين فعبّروا عن سخطهم وحزنهم عن مفارقة أوطانهم، وأسهبوا يعبرون عن معاناتهم، ومأساتهم جرّاء إبعادهم عن أوطانهم، لتعبّر قصائدهم الشامخة عن معاني الاغتراب والحنين إلى الوطن. فكيف عبّروا عن هذا الاغتراب والحنين إلى الأوطان؟ وهل وفقوا في تصوير معاناتهم الاغترابية بواسطة اللغة العامية؟ وإلى أي مدى عبروا عن عواطفهم وخلجات أنفسهم وكيف استطاعوا أن يأثروا في قراءهم؟

الكلمات المفتاح : الغربة، النفى، الإحساس بالحنين، الوطن، الشعراء، الشعبيين. الجزائريين.

Abstract:

The national belonging is a very important aspect of the individuals life , and therefore the country is the cradle and the grave. It may happen that the unity of belonging and living may turn into forced or optional expatriation, as happened to the popular poets, expressing their anger and grief for leaving their homelands, and elaborated their wrath and sadness as for a result of the separation from their homelands. Their towering poems express the meanings of expatriation from homelands and nostalgia. How did they express this expatriation and nostalgia for homelands? Did they agree to portray their expatriate suffering through dialect? How much did they succefully express their emotions and how could they influence their readers?

Key words: The homesickness, The homeland, The poets, Popular.

* بولرباح عثماني. bouotmani@gmail.com

مقدمة:

حُظي شعر الغربة والحنين باهتمام الدارسين والنقاد منذ وقت مبكر، فقد سعى هؤلاء إلى تقصي ظاهرة الشوق والحنين إلى الوطن بمن فيه، حيث عبر الشاعر في قصائده الاغترابية عن هذا الحنين من خلال الوقوف على طلل المحبوبة، والدّمن التي سكنتها، كما عبر هؤلاء أيضاً عن لوعة الحزن والفراق التي عايشوها لحظة بأخرى .

إنّ أنبل المشاعر وأصدقها الحنين إلى الوطن، فمفارقة الشعراء الشّعبيين الجزائريين أوطانهم وتغرّبهم عنها إما داخلياً أو خارجياً، جعلتهم يؤثرون حياة الحزن والألم والأسى، ولوعة الفراق على حياة المرح والتنّزه في وطن الغربة والاغتراب .

من جانب آخر عبر هؤلاء الشعراء عن آلامهم المعنوية، والنفسية والروحية، كشعورهم بالغربة والبعد والفراق والشوق والحنين الذي يترجم كل هذه المشاعر .

وحريٌّ بنا قبل أن نعرض بعض النماذج الشعرية التي تبرز موضوع الغربة والحنين إلى الوطن أنْ نقدم تمهيداً حول مفهوم الوطن ومعانيه اللّغوية والاصطلاحية، فكلمة الوطن كغيرها من الكلمات التي تناولها الباحثون وتعقبوها بالدراسة إذا ما بحثنا عنها في المعاجم العربية نجدها تعني في لسان العرب معاني عديدة، ((فالوطن هو المنزل تقيم فيه، وهو موطن الإنسان ومحله، والجمع أوطان، وأوطان الغنم والبقر، مرا بضها وأماكنها التي تأوي إليها)) . [1]

ومواطن مكة مواقفها وهو من ذلك وطن بالمكان، وأوطن أقام وأوطنه اتخذه وطناً، يُقال أوطن فلان أرض كذا وكذا أي اتخذها محلا ومسكناً يقيم فيها وأوطنت الأرض ووطنتها توطيناً واستوطنتها، أي اتخذها وطنًا وكذلك الإتطان، وهو افتعال منه غير أنّا المواطن فكلّ مقام قام به الإنسان لأمر فهو موطن له، كقولك: إذا أتيت فوقفت في تلك المواطن فادع الله لي ولإخواني، وتوطين النفس على الشيء: كالتمهيد، " وَطَنَ "نفسه على الشيء وله حملها عليه فتحملت وذلت عليه، وقيل: وَطَّنَ نفسه على الشيء وله فتوطنت حملها .[2] فالمقصود هو عين المكان الذي ينتسب إليه الإنسان، مسقط رأسه وآبائه، المكان الذي يمثل له الهوية والجذور الأولى له، لا يستطيع أن يتخيل الإنسان نفسه بعيداً عن دياره، فهي ذاته ووجدانه، حياته وبقاء آثره وكيانه، فلموطن كله الهوية والمرجعية الثقافية والاجتماعية والحضارية وحتى الإنسانية لفهم الإنسان لذاته .

أمّا في " أساس البلاغة " فكلمة وطن ((هي من يحب وطنه وأوطانه وموطنه، والإبل تحنّ إلى أوطانها، وأوطن الأرض ووطنها وتوطنها واستوطنها، ومن المجاز: هذه أوطان الغنم لمرابضها)) [3]، ويتخذ الوطن أبعاداً في ذات الإنسان تصوّر حياته ورصيده الذي يأخذ منه فيملأ صوره وتخيلته بمعنى الانتماء والمرجعية والهوية، والتعلّق والحنين .بمعنى البقاء والخلود، وهو يعني الإنسان لأنّ الموطن يصنع الإنسان، ويتوجه بالانضواء تحت رايته والانصياع إليه، فالوطن يعني الذات البشرية .

وتعني في القاموس المحيط ((محركة ومسكن منزل الإقامة، ومربط البقر والغنم، جمع أوطان، ووطن به يطن وأوطن، أقام، وأوطنه ووطنه واستوطنه: اتخذه وطناً..)) [4]، وقد جاء فعلاً هذا المفهوم لدى كثير من الشعراء الذين تركوا أوطانهم أكثر من الذين لم يخرجوا من ديارهم وعشائرهم، وكانت الأماكن متفرقة عهدٍ مضى يتطلب السفر والعناء، هذا الانتقال بين القرى والمدن والمداشر إبان مرحلة من مراحل تاريخ شعر الغربة والحنين في الشعر الشّعبي الجزائري .

لقد فُطر الإنسان على حب مسقط رأسه والمكان الذي ولد وترعرع فيه، يقول الله تعالى: ﴿ **وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُواْ مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً** ﴾ [5] .

ظهر مفهوم الوطن منذ القديم، وتطوّر عبر العصور، هذا ما تعكسه أشعار الشعراء، حيث كانت نزعة الحنين إلى الوطن شائعة عندهم .

لفظة الوطن في العصر الحديث أضحت ذات مدلول واسع، وأكثر شمولاً من مفهومها في العصر القديم، ((**فالوطن في نظر القدماء لا يتعدى الحي الذي يسكنون، أو أرض العشيرة، ومواطن القبيلة، لكنّه في العصر الحديث أكثر اتساعاً بحيث يشمل الوطن بأكمله، الذي يسكنه أصحاب الأصل الواحد، لأنّه يدل على مجموعة من المفاهيم المترابطة، والمتعلقة بالشّعب والسيادة، والنّظام والثقافة وغيرها**...)) [6] هذا المفهوم الذي اتخذ من التشكّل والتموّضع في حياة الإنسان تجذر وتعددت قراءاته وتصوراته في الشعر، وكثر الحديث عنه قصراً لأنّه يعني الوجود والهوية، فاتخذ أبعاداً اجتماعية عميقة التأثر وواسعة القراءات ونشمله من ثقافة محلية من أهله وجيرانه وانتمائه.لقد طرق الوطن في العصر الحديث أبواب كل الفنون والإبداعات، وأوجد أنماطاً مختلفة احتوته في الشعر وخاصة في منطقة المدونة محل الدراسة والتتبع .

الحقيقة التي لامناص منها هي أنّ الإنسان شديد الصلة بالمكان الذي ولد به، ونشأ فيه، وتنقّل على ترابه، وقد أثبت كثير من الباحثين أثر البيئة على الإنسان وحياته فوجدوا: ((**أنّ صلة الإنسان ببيئته، وأرضه أكثر ارتباطاً، وتعقيداً من صلة الحيوان والنبات بالبيئة والأرض، فابن الصحراء لا يمكنه أن يعيش في القطب الشمالي، وابن القطب الشمالي لا يعرف أن يعيش في الصحراء**)) [7] .

وعليه فالإنسان عندما يشعر بالغربة أو الاغتراب، يجد نفسه لا يستطيع أنْ يتلاءم مع وطنٍ غير وطنه، فينتابه شعور الحنين والشوق، ويصبح متلهفاً، متطلعاً لوطنه الذي ألفه وألف أهله.

وهذا النّوع من الشعور والإحساس تختلف درجته من شخص إلى آخر، ولكنّه يزداد حده عند الشعراء الذين تنشأ في دواخلهم مشاعر الشوق ونوازع الحنين التي تفرضها نفس الشاعر وذاته.

ولا غرابة في أنْ يجد دارسوا ديوان شعر الغربة والحنين يعج بمواضيع تتناول الحنين إلى الوطن، والتعبير عن معاناة الغربة والبعد والشوق للوطن، وذوبان القلب في خفقات الوجد به.

فنحن ((**لا نكاد نعرف أمة غير العرب مجدت أوطانها، وقدستها، وحنت إليها على البعد، وفنيت في حبها، والوفاء لها مسلماً كان من الأمة العربية، فالارتباط بالأرض عندها هو ارتباط التاريخ، والمصير، وعاطفة الوطنية في وجدانها عاطفة قوية مشبوبة يُزكيها البعد، ويؤججها الاغتراب، والوفاء للأهل ولديها لا يقلّ عن الوفاء للنفس** ..)) [8]، ولاشك أنّ الإنسان مهما اختلفت ثقافته، وتنوّعت شعر دوماً بمفهوم يعيده إلى البداية والأصل والمنطلق، يرجع به إلى حقيقة ذاته التي لا تنكرها نفس، بل حتى الحيوان يكاد لا ينسى موطنه، ولا يغفل عن ذكره والحنين إليه، لأنّ الوطن كيانٌ ترسّخ في الرؤية الذاتية والاجتماعية للفرد والمجتمع .

من هذا المنطلق يمكن القول بأنّ موضوع الحنين إلى الوطن والشوق إليه يمثل جانباً مهماً في إنتاج الشعراء الشّعبيين الجزائريين، وقد انعكس ذلك بصورة خاصة عند العديد من الشعراء الذين هاجروا أو هجّروا إلى جهات متعددة داخل الوطن أو خارجه، واشتدّ ذلك الحنين، وبلغ ذروته، ومداه عندما سقطت الجزائر في يد الغُزاة المستعمرين سقوطاً مفجعاً وأليماً، حيث كان لهذا الحدث التاريخي الأثر الأكبر على نفسية الشاعر الشّعبي، وأضحت صورة الجزائر تتراءى لهم كجنة ضاعت أو فردوس فُقِدَ .

فمن الشعراء الشّعبيين الذين اكتووا بنار الغربة والبعد، وأحسوا بألم الفراق، فراحوا معبرين عن شوقهم وحنينهم إلى وطنهم الجزائر، بعدما تغرّب جبراً بأرض فرنسا "**الحاج الهتاك**" الذي لم يطق ألم الفراق عن أرضه ووطنه اغتراباً مكانياً وروحياً فهاهو يتساءل في لاميته "قدر عنّا صاحب الحكم " عن مدى قدرته وصبره مبعدًا عن وطنه .

قَـدَّرْ عَنَّـا صـاحْب الْحُكْـم ولَقْـدَارْ مـا عَنْـدوش الْعَبـدْ حِيلَـة مْـع الْعـالِي

مـانِي دارِي[9] نْفـارْق الْأَهْـل وْالانْظـارْ و مـــانِي دارِي ذ الْمْحـــاينْ تجْرالِـــي

واش يْصَـبَّرْ مـنْ هْجَـرْ مـنْ وَطْنُـو جـالْ غيْـر بْـلادِي قـاعْ [10] لا مـا يَحْلالِـي

يـا هـلْ تَـرَى الـدَّمْعْ يَرْجَـعْ للْأَبْصـارْ و نْـوَلِّي[11] للْأَهْـلْ زاهِـي فِـي حـالِي

ويـا حَسْـرَاه ايَّـامْ فـاتُوا بالتّفْخـارْ مـا نَنْسـاهمْ مـا يْرُوحُـوا مـنْ بـالِي

ليتحسّر بعدها عن أيامه السوالف التي قضاها بين أهله وذويه، وعلى تراب موطنه ومسقط رأسه، بل ويشتدّ به الحنين إلى وطنه الذي كان فيه من خيار القوم وسراتهم وأنبلهم، حيث تتراءى له صورة ذلك الوطن فينتابه النّدم الشديد، ويشعر بمرارة الغربة والحرمان والبعد .

كنْـت بْعَهْـدِي وْكنْـتْ عَنْـد النَّـاس خْيـارْ وسَقْسِـي[12] قـاع النَّـاسْ تشْـهدْ بخْصـالِي

كِـي نرْكـبْ نـا وْخـاوْتِي نهْـزمْ لقْـوارْ باعْيـاد مشْـهورِين واللبـاس الْغَـالِي

ومكْتُـوبَ اللهْ صـاقْنَا جَيْنَـا هجَّـارْ معْظَـم ذاك النهَـارْ مـازَال قْبَـالِي

فهو لم يستطع العيش، ولا البقاء مع أناس عُرفُوا بسطوهم على أشياء الغير، وأخذ حاجتهم عنوة وقوة، وكذا بعض العادات والسلوكيات التي لم يألفها الشاعر، حيث راح يتضرّع ويتوسل إلى الله عز وجل حتى يخلصه منهم، ومن غربته، ويُرجعه إلى وطنه حتى يعيش سعيدًا، وفرحاً بين أهله وأحبائه

رانِـي صـابرْ للْمْحـاينْ [13]كِيمَـا رَادْ يـاك الصَّـابرْ لابـد يْنـال صْـلاحُوا

دايـرْ تكْلـي عْلَـى اللهْ فِـي رَبِّـي شـادْ نتْوَسَّـلْ ودْمُـوعْ عَيْنِـيَ طـاحُوا [14]

يـا خـالقْ كـلْ شـيْ وحْصَـاه عـدادْ يـا عـالمْ بالْغيـبْ عَنْـدكْ مفْتَـاحُوا

يـا مـنْ بِيـك دْمُـوعْ ورْمُـوش الأثْمـادْ يـا مـنْ لا يَـرَاكْ لامـحْ بالْمـاحُوا

ياحمَّـار وْجُوهْنَـا يـومنْ تسْـوادْ يـا سَـكَّات الْبَـاكْيِين اذَا نـاحُوا

لا تَجْعَلْنـا جْـوارْ ذ الْقـوم الْحسَّـادْ بِجـاه الْقـرْآنْ واخْتـام الْواحُـوا

عجَّـل لِي برْجُـوعْ وطْنبْ نصْبحْ مـادْ [15] يتْنَـزَّهْ قلْـب الْهْمُـوم بْتطْراحُـوا

إلاّ أنّه وبالرغم مما عانه الشاعر من ألم الغربة والاغتراب والبعد عن وطنه، وبلده إلاّ أنّه بقي متفائلاً في العودة إلى أرضه التي اشتاق إليها، وحزن كثيراً لبعده عنها، ومع ذلك سيبقى في شوقٍ وحنين مهما طالت مدة بعده وغربته .

من جهته الشاعر "**علي بن أحمد بن الحرمة**" هو الآخر عانى ألم الفراق والبعد، ولوعة الحنين إلى وطنه بريان، فقد كانت غربته داخلية، حيث تغرّب بالعاصمة، ولكنّه لم يستطع أن يصبر على مسقط رأسه ومنشأه، وهو الذي كانت غربته طوعاً واختياراً كونه ندم ندماً شديداً حين هَجَرَ وطنه، واستقرّبه المقام بالجزائر العاصمة فيقول معبراً عن هذا الشوق وهذا الندم .

الـدَّنْيَا راهَـا عْلِينَـا تثْقَلَّـبْ واحْليـل[16] اللِّـي رأه كِيمَـا نَـا رَانِـي

واش ادَّانِـي رحْـتْ للْغرْبَـة نَقْصَـبْ [17] وَانَـا فِـي لامَـانْ لا مـنْ نَـوَّانِي

احْبَـابِي بالسّـيفْ عَنِّـي تشَّـقْبْ والْعـدْيانْ تحـبْ لِـي كثْـر اشْـطَانِي

لـبْلادِي يـا خـاوْتِي شـاتِي[18] نهْـربْ مـنْ هَـم الْغُرْبَـة نْـرَّيحْ بَرْكَـانِي

ويْنَـا يـوم مْـن الـدْزَايرْ نسَّرْسَـبْ [19] وانْعُـود لْـوَطْنِي نْفَـاجِي تمْحـانِي

هي المعاني نفسها نجدها في قصيدة شاعر **وادي سوف** " **الهادي جاب الله**" الذي عانى ألم الغربة والفراق، فجادت قريحته بأبيات تعجّ أساً وحزناً، وتحسراً، وتُترجم بكل صدق هذا الشعور الاغترابي الذي عايشه الشاعر .

مْــن الْغرْبَــة خُــوتِي ملّيــت طـــــــــم الْكرْبَـــــــــة [20]

نَخْـــــدَمْ لا تـــــنْفَعْش الْهَرْبَـــــة خُـــــوتِي مْـــــن الْغرْبَـــــة ملّيـــــتْ

ولا قْـــــــــــــــــــديت[21] نْبَطَّـــــلْ مـــــا نَخْـــــدَمْش عْيِيـــــتْ

مْسَـــــــرَّحْ نمْشُـــــــو للْبيـــــــتْ نْوَلُـــــــــــــو صـــــــــــرْبَة [22]

بايـــــتْ نضْـــــجرْ مـــــن الْغرْبَـــــة نفْطَـــــرْ ونْـــــوَلِّي فِـــــي ســـــاعَة

بِـــــــــــــيَ طاعَـــــــــــــة نخْـــــدَمْ لـــــكْ أثْنـــــاعش ســـــاعَة

إنّ هذه الألفاظ والعبارات تبرز مدى تحمله وصبره وتجلّده للحصول على لقمة العيش، ولكنّه رغم ذلك بقي متعلقاً بوطنه ينتابه شعورٌ مليء بالحنين نحو أسرته وأبنائه الذين تركهم في موطنه الأصلي مدينة **وادي سوف** .

شـــــاهِي قَعْـــــدَة مْـــــعَ لَـــــوْلادْ فِـــــي سُـــــوق الْـــــوادْ

جمْلتْنَـــــا حْنـــــادي وْمقْـــــدَادْ جمْلتْنَـــــا نْـــــدِيرُو مِيعـــــادْ[23]

بْفـــــــــــرْح وْطرْبَـــــــــــة فِـــــي زاويتْنَـــــا تحْـــــت الْقبَّـــــة

خُـــوتِي كِـــي نخْـــرجْ مـــنْ وَطْنِـــي نكْـــــــــــــبسْ بطْنِـــــــــــي

نتْوَكَّـــــلْ ع اللِّـــــي هبَّطْنِـــــي تبْكـــي الْوالـــدَة اللِّـــي جـــابتْنِي[24]

أمّا الشاعر "**محمد كركبان**" الذي كان مجنداً في حرب الرّيف بالمغرب الأقصى سنة 1912م فيحاول أنْ يقدم لنا صورة مليئة بالتذكر والشوق والحنين إلى موطنه **الأغواط**، فنجده يستدّعي الأيام الجميلة التي عايشها رفقة الأحبة والأصدقاء والأهل فيقول:

مـــنْ مكْنَـــاس لْبرْنَـــا واش تْقَـــوَّمْ للْماشِـــي شَـــهْرينْ فـــي الْعـــدَّة تَلْقـــاهْ

رانِـي فِيـه ضِـحيتِ سـاكنْ يـا مسْـلمْ وعاشـــرْنا غـــرْب الْهْـــرَام ووالفْنَـــاهْ

أمْـــر الله عنِّـــي بالاقْـــدار مْحَـــتَّمْ وقـادرْ سِـيدِي يقْلْـب السّـيل لْمَجْـراهْ

تْفَكَّـــرْ لَغْـــواطْ والنَّـــاس اللِّـــي ثَـــمْ والْمِيعـــاد اللِّـــي بالاحْســـان فْرَقْنَـــاهْ

هَـم الْغُرْبَـة هَـوض افْكـار الْمَرْسَـمْ وعـدْت انْلَوْلَـبْ شـوزْ بـرّي يـا حَسْـرَاهْ

لقد استطاع الشاعر "**كركبان**" فعلاً أنْ يبرز معاني شوقه وحنينه إلى وطنه الذي خلّفه مجبراً، فلم يعد قادراً على البقاء في مدينة مكناس التي لم يألف أهلها ولا تربتها، محاولاً في الآن ذاته أنْ يصوّر بصدق وعفوية ما ينتابه من أشجانٍ، وعبرات تخنق أنفاسه، انّه الألم والشوق والحسرة، جراء بعده عن مسقط رأسه .وهنا لا يملك الشعر شيئاً إلاّ صبره وانتظاره للفرج القريب

إنّ الإحساس الصادق بحب الوطن والانتماء إليه، جعل من الشاعر "**بوشنافة الحمدي**" يحرص على ذكره والحنين إليه، حيث تجلى فعلاً من خلال تذمره وحزنه الشديد على فراق وطنه الصغير بوسعادة، وموطنه الكبير الجزائر والبعد عنه مرغماً يبحث عن لقمة عيش في بلاد الغربة **فرنسا**.

طـــال الْحـــال وزادْ غرْبَـــة شـــدّتْنِي و الْمَكْتُوبَـــة كاتْبَـــة حـــالُو لبْعـــادْ

ضـــاقتْ رُوحِـــي يـــا حْبِيبِـــي صـــدَّقْنِي و احْلِيـــل[25] الْغرِيـــبْ مـــا عنْـــدُو تِيعـــادْ

مـــدَّة عـــام ونُـــصْ لا خَبْـــر انْ جـــانِي و دايـرْ قَيْضِـي فـي الْبْرَيَّـة [26]و الْمِيـدادْ

لا صـــاحبْ ولا حْبِيـــب ايْوَنَّسْـــنِي غيـــر انَـــا وحْـــدِي انْهَـــوَّمْ فِـــي لـــرْوادْ

لقد أحسّ الشاعر بالوحدة فلم يجد أنيساً يؤنسه ولا رفيقاً يجالسه، فكثر همه واتسعت رقعة معاناته، فلم يجد إلاّ الرسالة التي شفى بها غليله في مراسلة الأهل والأحبة .لقد كانت هذه المعاني الشعرية ملئ بالحزن والأسى، حيث أباح بها الشاعر دونما خجل أو تردد مزج فيها مرارة العيش في بلاد الغربة، والشوق والحنين إلى الوطن الذي تركه مهاجراً مغترباً .

متْــوَحَّشْ واغْرِيــبْ وامْفــارقْ وَطْنِــي و مــا نَزْهــاش انْهــارْ جمْعَــة ولَّا اعْيــادْ

زاهِــي وَلّ حْــزِينْ لا مــنْ يَفْهَمْنِــي صــغرِي عقَّبْتُــوا مْــعَ بقْــرِي وروادْ

الْكــــافر مُحَــــالْ وَلا يرْحمْنِــــي قَلْبُـوا قاسِـي مـنْ نْحـاس اللِّـي يسْـوادْ

أمَّــا وأبَّــيْ دايْــم ايْســالُوعَنِّي طـال الْحـال احْـلِيلْهمْ حرْقُـوا لكْبـادْ

ألم آخر من آلام الغربة عن الوطن يعبر عنه الشاعر الشّعبي يحي بختي في رائيته الموسومة بـ "يا وطني " والتي يصوّر من خلالها حزنه الشديد جراء بعده عن وطنه الذي قدم من أجله أعزّ ما يملك من نفس ونفيس، ولكنّه تغرّب عنه وتوجه إلى **فرنسا**، بعد أنْ غرر به من قبل من سبقوه فندم ندماً شديداً، ولم يجد من سبيل غير تعبيره عن حنينه وشوقه لموطنه وأهله حيث قال:

مــانِي دارِي يــا حْبــابِي كِيــف اجْــرَى تسْــتَعْجَبْ كيفــاهْ ســبْقُولِي لقْــدَارْ

جيــت انْحَــوَّسْ[27] قاصْــد بْـلاد الْكَفْـرَة مْتَمَنِّــي عِــلاجْ قلْبِــي فِيــه اضْــرارْ

خــدْعتْنِي لَقْــوالْ قبْــل مَّــا نَــرَى غرزْنَــا بْحــدِيثْهمْ هــذا الْهجّــارْ

بعد ذلك يحاول الشاعر أن يُعبر عن خلجات نفسه بألفاظ وعبارات تحمل معاني الأسى والضجر، ورغم ذلك كلّه يبقى بختي متمسكاً بالإرادة الإلهية، التي يعتمد عليها، ويستأنس بها، وهو على يقين بأنّ كل شيء عند الله سبحانه وتعالى بمقدار .

هــذا الْهَــم الْيُــومْ رانِــي حــايرْ فِيــهْ بِيَّــا هَــم الْغــيضْ ومْكــار الْغرْبَــة

حشَّــمْتكْ بــاللهْ منِّــي يــا طــايرْ تــدِّي[28] ذ الْجَــوابْ للْــوَطْن اتْأدِّيــهْ

وَطْنِــي وَطْــن الْعــزْ والْغيْــرَة واصْــبرْ كاتــبْ لِــي مكْتُــوبْ نهْجــرْ ونْخَلِّيــهْ

يــا ســامعْ وَطْنِــي بْــلاد الْجَزَائــرْ الْجسْــم هنــا والــرُّوحْ دايــمْ فِيــهْ

قَلْبِــي راه ضْــرِيرْ[29] ماطـاقشْ[30] يصْـبرْ لا حَكِــيم يْعــالْج الْمَــرْض اللِّــي بِيــهْ

مـا نْرْقـدْ[31] مَهْمُـومْ كـل لَيْلَـة حـايرْ بِيَـا حُـب الْـوطنْ هُـوَ ومَّالِيـهْ

يـا ربِّـي شـاهِي[32] أمُـورِي تتْيَسَّـرْ اتْـزُول الْحَيْـرَة عْلَـى قلْبِـي تخْطِيـهْ

من جانب آخر بيّن الشاعر أنّ ما أصابه من سُقمٍ وداء، كان سببه الرئيس بُعده عن وطنه، وهجرانه له .

الحقيقة أنّ الإنسان عندما يعيش مغترباً أو مبعداً عن وطنه وأهله يشعر لا محالة بالحنين والشوق مادامت الحالة مستمرة والظروف مواتية للغربة، وعليه فالحنين لا يكون للأرض فقط بوصفها بقعة جغرافية، أو حيزاً مكانياً محددا الزوايا والأبعاد، وإنّما للحياة بكل نُظمها، وتقاليدها، وعلاقاتها، وسلوكيات أفرادها.

وهو ما حدث بالفعل للشاعر الشّعبي "**شهرة بلخير**" الذي تغرّب وابتعد عن أهله وموطنه – وهذه المرة الغربة داخلية وليست خارجية – **الأغواط** موليًا شطر وجهه منطقة الهضاب العليا [33]، فلم يستطع العيش فيها، ولم يتأقلم مع بيئتها وساكنيها فراح يُعبر عن مدى شوقه وحنينه إلى موطنه الأصلي ويقول:

يافـاهمْ حسّـيتْ لـيَّ زاد الضّـرْ نـدْفُو[34] عنِّـي بالْقْضَـا لجْـراح اليُـومْ

عنِّـي طـال الْقـبْ[35] دِيمـا نتْفَكَّـرْ ومْحَـيْطَمْ [36] رانِـي مْـن الْغرْبَـة محْطُـومْ

نتْفَكَّـرْ ذيـك الْمْراسـمْ كِـي نخْطـرْ نتْفَكَّـرْ قـوم الشّـنَا[37] فرْسـان[38] اللّـومْ[39]

دِيمـا عيْنِـي بالـدْمُوع تظَـل تـذرْ قَلْبِي طايبْ ع الجْمَرْ نسْفات حْمُومْ

كلّ هذا كان سببه بُعده عن **الأغواط** الذي لم يستطع أنّ يصبر عنه ولا عن قاطنيه من أهله وأبناء قومه وعشيرته .

نَـوَّانِي ذاك الْغْمـام اللِّـي كـدَّرْ رقْـم الْبـر[40] يْبـانْ ع الصَّـحْرا مَلْمُـومْ

مْـن التَّـل بْعِيـدْ عنِّـي هـذا الْبـرْ واش يْقَـرَّبْ بـرْ لَغْـواط الْمَعْلُـومْ

رَبِّـي سِـيدِي لا يْكُـون جْـواد اخْضَـرْ جامـل رُوحُـه ننْقْـدُه[41] قـارحْ مَخْـدُومْ

وغير بعيدٍ عن "**شهرة بلخير**" وغربته نموذج آخر من نماذج الغربة عن الوطن نلمسه في شعر "**محمد بن عزوز الخالدي**" الذي اكتوى بنار الغربة والبعد عن الوطن، والعيش بأرض **فرنسا**، ومن معاني غربته ما عبر عنه من خلال أبيات تعجّ بالشوق والحنين إلى وطنه .

يـا سـايل نُوصِـيكْ ذ الْمعنَـى وافْهَـمْ و اسْـتَخْبرْ مـا نَظْـم الشَّـاعرْ بغْنـاهْ

تَنْسـى هـم الّلـي انْـتَ منُّـه مهْـتمْ كـمْ مـنْ هـايمْ فِـي اهْمُومُـه لَقيْنـاهْ [42]

سـالو دَمْعـاتِي مْـن الْغُرْبَـة بالـدَّمْ بعْـد أنْ فارقْنـا الْـوْطَنْ وافْتَكرْنـاهْ

رَينـا [43] غـيم عْلـى جْبالُـه طـاح اظلـمْ هُـوَ بـرُّ فْرانْسـا يـوم أنْ شـفْناهْ

إنّ هذه الغربة التي عايشها الشاعر لم تكن من محض الصدف أو من أجل التنزه أو العبث، أو مضيعة للوقت، بل الظّروف هي التي أملت هذه الغربة .

اتْقرَّبنـا [44] لـبْلادْهمْ صـرْنا عَجَـمْ و اتْحَـتَّمْ [45] لِبَـاسْ مكْـروه الْبسـناهْ

آخـرْ فِـي تكْليـفْ مولانـا يعلـمْ فـي الغرْبـة مسْـكِينْ قَلْبُـه ماهَنَّـاهْ

أَبْيـاتِي مـنْ ضـاقْ مثْلـي يكْتـبهمْ الّلّـي[46] عاشـقْ فِـي بْـلادُه فَكَّرْنـاهْ

موضوع الغربة عن الوطن والحنين إليه تنوّع كما رأينا بين غربة داخلية وأخرى خارجية، ولكنّها عند "**مصطفى بن إبراهيم**" جمعت الغربتين معاً، فهو الذي عانى من تغرّبه داخل وطنه، فحين وصل إلى ما يُعرف **ببرج الضاية**، واستقرّبه المقام بين أولاد بالغ، وتزوّج منهم، ولم يُقدموا للشاعر ما يستحقه من التقدير والمكانة –حظه في ذلك حظ "**عبد الله بن كريو**" بين أهل **المنيعة**[47] – مثلما كان عليه في مدينة **سيدي بلعباس** وضواحيها .ولم يكتنفوه لما هو أهله من علامات الاعتبار، والاحترام والتبجيل فعاش بينهم، وكأنّه ليس منهم، وأحسّ بالنفور والجفاء، فلم يجد أي صديق ولا رفيق يتجاذب معه أطراف الحديث، ويُسليه فاستولى عليه الشعور بالوحدة والغربة فسبب ذلك في ضميره، وفي معنوياته جرحاً بليغا يَصعب تضميده .

لقد عاش الشاعر–كما هو معلوم لدى دارسي الشعر الشّعبي [48]– حياة فخرٍ، وعزٍ ورخاء في سابق حياته، ووجد نفسه في مكانٍ غير الأمكنة التي عايش أهلها بجو مفعماً بالصداقة الحارة والإعجاب الشديد .

لقد أحسّ الشاعر بالاغتراب داخل وطنه، ويتجلى لنا ذلك عند مغادرته **أولاد سليمان**، ووجوده غريباً بين أولاد بالغ، ومن النماذج الشعرية التي تبرز هذا الإحساس قوله:

يَـا مَـا أعْظَـمْ ذَاكْ النّهَـارْ وانَـا نْوادّعـكْ نهَــوى وَطْــن العــزْ والشّــنَا والنَزاهَــةْ

هَجْرُونــي عُربَــانْ زَاد ثَــاني مَراقبــكْ مَـا حَضْـرُوا صَـدقَانْ نعـيشْ فـي تَياهَـةْ

وفي مقام متصل بهذه المعاني يقول **بن إبراهيم** أيضا:

قلْبـــي تْفَكَّـــرْ الاوْطـــانْ والْهالَـــة رانِـي مْهَـوَّلْ[49] مـا نـيشْ [50] فِـي حـالِي

قلْبِـــي تْخَبَّـــلْ بـــالْوحشْ تخْبالَـــة وعْــلاه يــا مــرْو غرِيــبْ تلْغَــى لِــي

وبلغة شعرية مليئة بالأسى والحزن من جهة، والإحساس بالبعد عن الوطن والأهل من جهة أخرى راح الشاعر يفصح عن مكامن قلبه فيقول:

اعييـــتْ صـــابرْ وسْـــفايْنِي راحلَـــة هسّـــيتْ [51] مـــنْ وطْنِـــي ايَّـــامْ ولْيـــالِي

امْحـانْ قَلْبِـي كِـي[52] جـاتْ متَّاصْـلَة الْـــوَحْشْ والْحـــبْ فرْقـــةْ رْجـــالِي

نوبَـــاتْ صـــاحِي وايَّـــامِي قايْلَـــة[53] والضَّـحكْ لَحْـض النَّوْبـاتْ يحْلَـي لِـي

وفي ذات المقام نجد الشاعر يتأسّف عن حاله وما جرى له، وهو بعيد عن وطنه "**بزفيزف**"، متحسراً ومتألماً من كونه متواجد بين قومٍ لم يعرفوا مكانته وقدره.

حسْـــراهْ كنْـــت بُـــومِي وخيَالَـــة وفْعَلْـت كِـي نْعـج سـويد بامْحـالِي

خـــوذَاتْ بالْعشْـــق حنَـــانْ هبَالَـــة بعْطُـــورُو رْوايـــحْ مسْـــك وغْـــوالِي

وطْنِـــي الزْفيْـــزفْ واهْلِـــي بنِـــي تالَـــه الْحكْـــم فِـــي بلْعبَّـــاسْ يَهْـــوي لِـــي

قَهْـــوَة وْكَرْسِـــي والنَّـــاسْ مْتقابْلَـــة والشّـــرب بعْـــدمَا مـــرْ يحْلاِلِـــي

ولّيـــتْ عاشـــرْ شِـــي[54] نـــاسْ جهَالَـــة وقْلِيـــل مـــنْ يَعْـــرَفْ لغـــة أقْـــوالِي

وما نلاحظه هنا أيضاً هو التغيّر الذي رآه الشاعر في الحياة اليومية، وفي المنظومة الاجتماعية لدى المجتمع الثاني الذي عاش فيه "**بن إبراهيم**" فلم يستطع التأقلم معهم، ولم يستطع العيش بينهم، كما أنّه لاحظ بعض السلوكيات التي تختلف عن مجتمعه .

يهْـــدُوا[55] الْقـــرْق ويلْبْسُـــوا النعَالَـــة والـــرَّاسْ عرْيـــانْ تْقُـــول هْبَـــالِي

زرْت شْـــــيُوخ وْولِيَـــــا وبدَالَـــــة وطْلَبْـــت راع الْحَمْـــرَا البُـــودالِي

مما لاشك فيه أنّ ما عاناه الشاعر من وحشة وغربة داخل وطنه لم تكن لتؤثر على نفسيته وهو يُقبلُ على الهجرة خارج وطنه قاصداً أرض المغرب الأقصى، لأنّه عهد الكآبة والأسى وعايش الوحدة والعزلة زمن إقامته غريباً بين **أولاد بالغ** يتجرّع مرارة الهجرة والبعد عن الوطن، وهو يتذكر بكلّ أسى وحسرة وحزن أيام عزه .

ومن النماذج الشعرية التي جادت بها قريحته، وهو في مدينة فاس المغربية يعاني مرارة الفراق والبعد ويشعر بحرقة الغربة التي تزداد كل يومٍ عمقاً في نفسه .

صَـبْرِي وكـيْ قَلبـي انَـا ويـنْ الـبْلادْ رانـيْ[56] غَريـبْ مَـانَعرفْ لاوَيـنْ انَـا

بِـالوحَشْ والمحَـانْ الضُـرْ علـيّ زَادْ والهـمْ مختلـفْ مـنْ كُـلْ هُـوا جَانَـا

ومن شدّة ما عاناه من ألم الغربة، وإحساسه بالشوق الدائم، والحنين المستمر لوطنه وأهله راح الشاعر يقدم نصيحة لأقرانه يوصهم من خلالها وينصحهم بعدم هجر الأوطان، والعيش في بلاد الغربة .

فـــي النَّـــاسْ مَـــا تصِـــيبْ[57] مخَيـــرْ نْعيـــدْ لـــكْ واسْـــمعْ منّـــي

مَهْبُـــولْ مـــنْ يجيِـــه[58] مْهَـــاجرْ فيـــهْ النّفَـــاقْ سُـــوقُو مبْنـــي

من هنا يمكن القول بأنّ شعر الحنين إلى الوطن تجسّد فعلاً من خلال ما ذكره "**مصطفى بن إبراهيم**" حيث أنّ شعره يفيض حباً للوطن الذي تعلّق له، فتغنى به، وحنّ إليه، واشتاق لأهله، وهذا كله كان بلغة متينة اعتمد فيها الشاعر على التصنّع والتكلف في بناءها ونسجها، فقصيدة القُمري على سبيل المثال تنم عن تجربة شعرية ناضجة من جهة، ومن جهة أخرى توحي بملكة اكتسبها الشاعر صناعة في بناءها، وأناقة في ألفاظها وعباراتها .

كما تُعتبر هذه القصيدة دليلاً على شوق وحنين "**مصطفى بن إبراهيم**" إلى وطنه، والرغبة الملحة في الرجوع والعودة، إذْ حاول فيها أن يرسم ويُحدد مخططاً العودة، ومراحلها من مدينة **فاس المغربية** إلى قريته، ومسقط رأسه، كما حاول من خلالها أيضاً أن يبرز حالة انكساره في ديار الغربة .

انْتَايَـــا بحْمَايْمـــكْ زَاهِـــي تْنَقْمَـــرْ مـــا دَرْكـــكْ مـــا زَارْ قَلْبِـــي يـــا ورْشَـــانْ

وانَايَـــا رَانِـــي مْـــن الْفرْقَـــة مْحَيَّـــرْ كـــل لَّيْلَـــة نَـــوَّاحْ ودْمُـــوعِي ويْـــدَانْ

مـا نرْقدْشِـي انْبَـاتْ طـول اللّيـل سـاهرْ حـــارمْ نـــوْمِي مَـــا يْلـــذ بِـــه عيَـــانْ

هَـــاض الْـــوَحْش[59] قيـــتْ مـــا قـــديت شـــاش الْقَلْـــب اشْـــتَاقْ لَـــوْلَاد سْـــلَيْمَانْ

لقد كان حنين هؤلاء الشعراء الذين تغرّبوا عن وطنهم الأم حنيناً ينم عن قاسم مشترك بينهم، وهو صورة الوطن في مخيّلة كل واحد منهم، إذْ وبعد استيلاء العدو الفرنسي لأوطانهم عاشوا مرارة الغربة وألم البُعد .وفي نفس الوقت مزجوا ذلك بالاستصراخ والتوسلات بالأولياء والصالحين —كما رأينا سابقا– الذين يرون فيهم العون والمؤنس لهم في غربتهم .

نبْكِي رحْـل الْبَيْضَـا الْميـرْ ظَنِّـي اجْفـانِي كان ارْضَى سِيدِي الصّاعْبة ترْجَعْ سهُولْ

يـا غايـةْ عقْلِي يـا عْنَايْتِي يـا ذكَّـار اجْنَـانِي مالكْ سلْطانِي اكْبرْ منّكْ غير اللهْ والرَّسُولْ

كان ارْضيتْ يرْضَى الإلَه والرَّسول الْعَدْنانِي ويرْضاو جْمِيع الصَّالْحِين والْبُودالِي جَلُّولْ

رحْل الْحَمْرَا منْ بِيه ينْسبْ حر وْسُودَانِي ويْقُـول عْلـى قْـرار نمْنَـعْ اخْـدِيمِي[60] يـوم

اللّي صاحْبه رغْبه ايْسَلْكُو ما بين الْعدْيَانِ الرَّاكبْ فُوق الصّيد ينْحرمْ ماهُو مذْلُولْ

نبْكِي جدِّي زين الأقْبابْ هو لغْوة لْساني يتْوَلَّى ربِّي الصَّاعبْ ويفْتَحْ الْبابْ الْمَقْفُولْ

وكقول "**محمد بلخير**":

سَـــرَّحْ يـــا خَـــالْقِي الطَّلْبَـــة و اهْـــل الـــدِّيوان والْمْحاضـــرْ

أبْجـــاه اللِّـــي قـــرَا الْخطْبَـــة و بْجـــاه الْمُصْـــطَفَى الطَّـــاهرْ

ابْجـــاه الْغـــوْث [61] والْمْحَبَّـــة عَرَفَـــة والجْهـــاذْ الاكْبَـــرْ

وكقول "**محمد بلخير**":

سَـــرَّحْ يـــا خَـــالْقِي الطَّلْبَـــة و اهْـــل الـــدِّيوان والْمْحاضـــرْ

أبْجـــاه اللِّـــي قـــرَا الْخطْبَـــة و بْجـــاه الْمُصْـــطَفَى الطَّـــاهرْ

ابْجـــاه الْغـــوْث [62] والْمْحَبَّـــة عَرَفَـــة والجْهـــاذْ الاكْبَـــرْ

نتائج البحث:

كان للغربة دورها في نفوس الشعراء الذين غادروا أوطانهم، حلوا في ديار جديدة لاعهد لهم بها، ولا تربطهم به أية روابط أو صلات، شعروا بالغربة وشعروا بالبعد وشعروا أيضاً بفقد الأهل والوطن والأحبة، فالشاعر الشّعبي في بلاد الغربة لا يجد من يواسيه، ويُخفف عن آلامه وأحزانه .

فهنا يشعر بالضيق الذي يُوصله إلى عدم التكيف، وعندما يحنّ ويشتاق يزداد تعلقاً فيترجم تلك المعاني المتدفقة بالأسى، والمليئة بمعاني الحنين والبوح بتجاره الذاتية في ديار الغربة .

لقد تغرّب الكثير من الشعراء الشّعبيين عن أوطانهم، بغض النظر السبب الذي دفعهم إلى الخروج والجهة التي قصدوها، لكن ما أن حل هؤلاء في بلاد الغربة، حتى شعروا بألم البعد عن أوطانهم وأهليهم، مما دفعهم إلى نظم القصائد في الحنين إلى هذه الأوطان، وشوقهم إلى العودة إليها .فإذا كان هذا هو شعورهم تجاه أوطانهم فهل نتوقع من هؤلاء الشعراء أنْ ينسوا أوطانهم .

لقد أُغرمَ الشعراء الشعبيون بأوطانهم، وتعلقوا بأهلهم وأحبتهم، وهاموا بهم حباً،وارتبطوا بهم ارتباطاً وثيق الصلة، لقد حاولت قصائدهم أنْ تصوّر هذه الحالة النفسية والشعورية، فجاءت بذلك صادقةً حاملةً بين طياتها معاني الحنين، وعواطف الوفاء والتعلّق، وإذْ راحت هذه الأخيرة تؤكد عن مدى صدق انتماء هؤلاء لوطنهم وحبهم له وتعلقهم بترابه.

إنّ لحظات الاغتراب التي عاشها الشاعر الشّعبي في غربته تبرز مدى إحساس هؤلاء بتجربتهم الذّاتية والفردية، التي رسمت ملامح الحزن، وتقلبات الأيام، ونوائب الدهر، فقدمت بذلك صورة عن المعاناة النفسية التي مربها هؤلاء الشعراء. إنّ الشاعر الحق هو من يتفاعل مع تجربته الذاتية، ويقوم بسرد فصولها، ومشاهدها في أدق صورٍ وأرقى تعبير.

هوامش

[1]- ابن منظور جمال الدين، لسان العرب، دار صادر، بيروت، المجلد الخامس 1997. مادة وطن، ص 430

[2]- نفس المصدر، ص 430

[3]- الزمخشري ابن عمر، أساس البلاغة، دار الكتب العلمية، مصر، ط1، 1953، ص 512

[4]- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، بيروت، 2005، مادة وطن، ص 320 .

[5]- سورة النساء، الآية 66 .

[6]- ناصر صبار، مصطفى بن إبراهيم، شاعر الحنين إلى الوطن،، وهران، الجزائر، 2002، ص29.

[7]- محمد إبراهيم حور، الحنين إلى الوطن في الأدب العربي حتى نهاية العصر الأموي، القاهرة، 1970، ص13.

[8]- عبد الحكيم بلبع، حركة التجديد في الشعر المهجري، القاهرة، 1980، ص 259.

[9]-ماني داري: لست أدري.

[10]-قاع: كل.

[11]-نولي: أعود.

[12]- سقسي: اسأل .

[13]-للمحاين: المحن، الزريا.

[14]- طاحوا: سقطوا.

[15]- ماد: راجعا، عائدا

[16]- احليل: مسكين .

[17]- نقصب: اسرع.

[18]- شاتي: أحب، وأريد.

[19]- نسرسب: اخرج وابتعد.

[20]- طم الكربة: صيغة تعجب بمعنى ما أطم هذه الكربة.

[21]- قديت: استطعت.

[22]- صربة: مجموعة.

[23]- ميعاد: مجلس مسامرة.

[24]- جابتني: أنجبتني.

[25]- احليل: يا ويح وسوء الطالع .

[26]- البرية: الرسالة .

[27]- انحوس: أتجول.

[28]- تدي تأخذ.

[29]- انعديه: أمرره.

[30]- ما طاقش: لم يستطع الصبر والتحمل.

[31]- مانرقد: لا أنام.

[32]- شاهي: أحب، وأريد.

[33]- تعرف في الوساط الشعبية بمنطقة التل – مدينة تيارت وضواحيها – حيث يقصدها سكان الصحراء صيفاً بحثاً عن الكلأ والماء .

[34]- ندفو: الانتكاس: ومعاودة المرض.

[35]- القب: الشوق.

[36]- محيطم: قلب يائس، متحسر.

[37]- الشنا: الشأن.

[38]- فرسان: أصحاب الفنطازية.

[39]- اللوم: الفخر والاعتزاز.

[40]- رقم البر: الغيم والسحاب.

[41]- ننقده: أتخيره

[42]- لقيناه: التقيناه . أو التقينا به .

[43]- رينا: رأينا .

[44]- أتقربنا: أصبحنا في غربة .

[45]- أتحتم: محتوم .

[46]- اللّي: الذي .

[47]- ينظر، بديار البشير، بن كريو، حياته، حبه وشعره، مطبعة بن سالم، الأغواط، الجزائر، 2009 ، ص134.

[48]- نذكر على سبيل المثال: كتاب عبد القادر عزّة، مصطفى بن إبراهيم فارس بني عامر .

[49]- مهول: في غيظ وقلق.

[50]- مانيش: لست.

[51]- هسيت: اصبحت نحيف الجسد.

[52]- كي: لما.

[53]- قايلة: وقت مابعد الزوال.

[54]- شي: بعض.

[55]- يهدوا: يتركوا.

[56]- راني: اني .

[57]- تصيب: تجد.

[58]- يجيه: يأتيه.

[59]- الوحش: الشوق والتعلق.

[60]- اخديمي: من يقوم بخدمته.

[61]- الغوث: درجة من درجات أولياء الله الصالحين .